كلاسيكيات مُبسطة

شيرلوك هولمز

مغامرة تاج الزمرد



السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي


كلاسيكيات مُبسطة
شيرلوك هولمز
مغامرة تاج الزمرد
السير آرثر كونان دويل
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

شيرلوك هولمز

كلاسيكيات مبسطة للأطفال

كائنات، ورموز وقضايا مثيرة



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...أكثر من مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarir.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublications@jarirbookstore.com

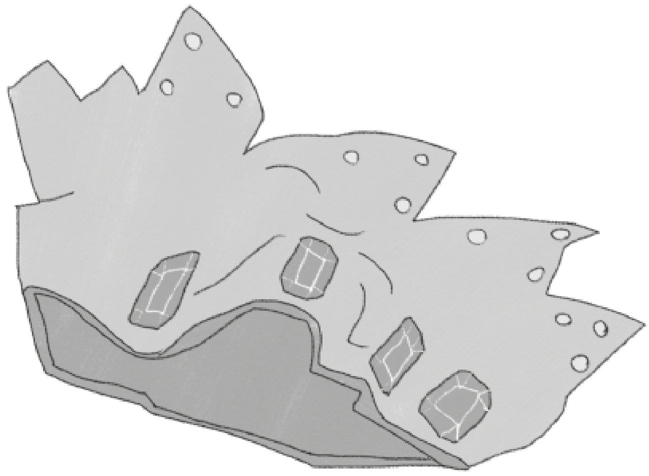
تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2024

شيرلوك هولمز

مغامرة تاج الزمرد



السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
not just a Bookstore... ليست مجرد مكتبة...

الفصل الأول

فـي صبـاح أحـد أيام شهـر فبـراير الصافية، كنت أنظر من خلال نافذة غرفة الجلوس بشارعنا، شارع بيكر عندما رأيت شيئًا غريبًا.

قلت مناديًا هولمز: «هولمز! هناك رجل يتصرف على نحو غريب جدًّا في شارعنا، تعالَ وانظر».

نهض صديقي من فوق كرسيه، وسار نحو النافذة، ونظر من فوق كتفي.

كانت الثلوج التي تساقطت أمس لا تزال متراكمة على جانبي الطريق، ينعكس عليها ضياء شمس الشتاء في شكل بديع، بينما سارت العربات فوق الثلوج الواقعة في منتصف الطريق، حتى تحولت إلى مادة بنية يسهل الانزلاق عليها.



كان هناك عدد قليل جدًّا من الناس بالخارج؛ فهناك رجل ينزه كلبه، وخادمة تخرج من المخبز حاملة الخبز، وذلك الرجل الذي يتصرف بغرابة.

لا بد أنه في نحو الخمسين من عمره، كان رجلًا طويل القامة، ومتين البنية ويبدو أنه ذو شأن، وله ملامح بارزة، ويرتدي معطفًا أسود، وقبعة لامعة وأنيقة وبنطالًا رماديًّا فاتحًا.

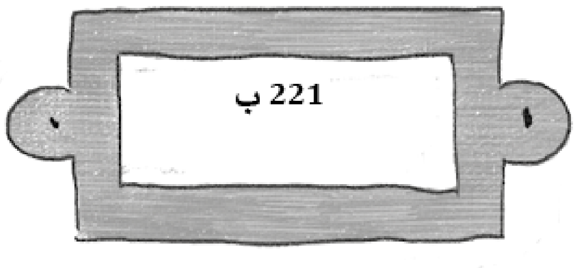
كان يركض علـــى امتـداد الطريق، وهو يحرك يديـــه إلـــى الأعلى والأسفل، ويلوي قسمات وجهه على نحو عجيب، بينما يمر على أبواب البنايات المجاورة في شارع بيكر، وينظر إلى كل رقم ثم يعبس، وينتقل إلى رقم البناية التالي.

سألت: «ما خطب هذا الرجل بحق السماء؟!».

أجاب هولمز وهو يفرك يديه في حماس: «سوف نعرف قريبًا، فأنا أعتقد أنه قادم إلى هنا».

سألته في اندهاش: «قادم إلى هنا؟».

- «نعم أنا متأكد أنه قادم إلى هنا، ومعه قضية جديدة لنا، فأنا أعرف العلامات: الركض في جنون بطول الشارع، ونظرة الذعر على الوجه، والنظـــر إلـــــى أرقـــام البنايات، وأثق بأنه يحاول الوصول إلى بناية 221 ب، لا بد أن لديه قضية».



أثناء حديثه، اندفع الرجل نحو باب بنايتنا وهو يلهث، وظل يرن الجرس عاليًا، حتى ترددت ضوضاء الجرس في البناية كلها.

سمعتُ صاحبة المنزل، السيدة هدسون، وهي تفتح باب البناية، ثم وَقْع أقدام هذا الشخص على الدرج.

وبعد لحظات انفتـــح باب غرفة الجلوس.

بدأت السيدة هدسون تقول: «يا سيد هولمز، إن...»، بينما مر الرجل من ورائها ودلف إلى الغرفة، وهو لا يزال يلهث، ويلوح بذراعيه، ولحظتها رأيت أن هناك

شيئًا آخر بخلاف نظرة الذعر المرتسمة على وجهه، فقد بدا الحزن أيضًا واضحًا عليه.

ولم يستطع أن يتحدث لبعض الوقت، بل ظل يتمايل يمينًا ويسارًا، ويشد شعره. أجلسناه أنا وهولمز على الكرسي، ثم جلس هولمز إلى جواره، وربت على يده.

قلت للسيدة هدسون: «سوف يكون بخير الآن»، فغادرت السيدة الغرفة.

قال هولمز للرجل في نبرة مهدئة: «أنت في أمان هنا».

وأضاف: «خذ ما تشاء من الوقت، والتقط أنفاسك، ثم أخبرني كيف يمكنني أن أساعدك، ويسعدني جدًّا أن أنظر في مشكلتك، أيًّا كانت».

جلس الرجل لدقيقة أو دقـيقتين وهو يتنفس في صعوبة، ويقاوم رغبـــته فــي البكاء، ثم أخرج منديله، ومــسح جبهته، وأخذ نفسًا عميقًا ورفع وجهه إلينا.



الفصل الثاني

قال الرجل: «لا بد أنكما تعتقدان أنني مجنون».

أجاب هولمز وهو يربت على يد الرجل ثانية: «كلا على الإطلاق، بل يبدو أنك تواجه مشكلة كبيرة».

هز الرجل رأسه في أسى وقال: «هذا صحيح! إنها مشكلة مريعة تكاد تدفعني إلى الجنون».

واصل قائلًا: «ولا تقتصر المشكلة عليَّ أنا فقط، بل قد يعاني نتيجتها بعض الشخصيات البارزة، وهذا إن لم أتوصل إلى الحل... وبسرعة!».

قال هولمز: «أرجوك يا سيدي اهدأ، وأخبرني من أنت وماذا جرى لك».

أخذ الرجل شهيقًا آخر عميقًا.

وقال بعد أن هدأ قليلًا: «أنا آسف يا سيد هولمز، ويا...».

قلت سريعًا وأنا أقدم نفسي: «الدكتـــور واطســـون».

- «تشرفت بكما أيها الطبيب واطسون والأستاذ هولمز. اسمي ألكسندر هولدر، من بنك هولدر آند ستيفنسن، بشارع ثريدنيدل».

كان اسمه معروفًا جدًّا، فهو شريك رئيسي لواحد من أكبر المصارف في مدينة لندن. ماذا يمكن أن يكون قد حدث لمثل هذا الرجل الثري صاحب النفوذ؟

انتظرناه في فضول شديد حتى أصبح مستعدًّا لرواية حكايته.

- «كما تعلمان، في الأعمال المصرفية، تتعلق الأعمال بالمال، ومن أفضل الوسائل لجني الأموال هي إقراض الشركات، ما دام المسئولون فيها يقدمون ضمانة كافية؛ لأن ما سوف يسددونه إلى البنك يزيد عما اقترضوه منه. وقد قدمنا الكثير من القروض للشركات، لكننا أيضًا أقرضنا الكثير من الأموال لبعض الأسر بضمانة ما لديهم من أغراض قيمة، مثل اللوحات أو الكتب أو المجوهرات أو التحف الخزفية التي لا تقدر بثمن».

الضمانة

عند تقديم قرض، يطلب البنك "ضمانة": وهي عبارة عن غرض ثمين، مثل: عقد من الألماس أو لوحة قيمة أو أوراق ملكية البيت، ويقدم المقترض هذا الغرض إلى البنك كنوع من الوعد بتسديد المبلغ الذي اقترضه في موعده المحدد، وإذا سدد هذا الشخص القرض، فسوف يستعيد غرضه الثمين، أما إذا لم يسدده، فسوف يحصل البنك على هذا الغرض، وكلما زاد مقدار المال الذي يريد الشخص اقتراضه من البنك، ارتفعت قيمة "الضمانة".

أومأنا برأسينا في فهم.

واصل السيد هولدر قائلًا: «في صباح الأمس، كنت جالسًا في مكتبي بالبنك أؤدي بعض الأعمال الإدارية، عندما طرق أحد الموظفين باب مكتبي، وقال إن هناك زائرًا يود رؤيتي. اندهشت عندما رأيت الزائر، فهو... حسنًا، ربما يجدر بي ألا أذكر اسمه، هو شخص شهير جدًّا، وسعدت بتشريفه لنا، وحاولت أن أعرب له عن شعوري هذا، لكنه بدأ على الفور يتحدث في العمل، وبدا أنه كان على عجلة من أمره.

وقال لي: «يا سيد هولدر، لقد أخبرني البعض بأن هذا البنك سوف يقرضني المال».

قلت في تلعثم: «هذا م-م-ممكن».

قال الرجل: «من الضروري أن أقترض مبلغ 50.000 جنيه إسترليني على الفور».

سألته: «إلى متى تحتاج هذا المبلغ؟».



أجابني: «إلى يوم الإثنين المقبل على أقصى تقدير، فهناك شخص يدين لي بالكثير من المال، وسوف يرد لي المال يوم الإثنين، وعندما يرده إليَّ، يمكنني أن أعيد المال إلى البنك، إضافة إلى الفائدة بالطبع، لكن من الضروري أن أحصل على الخمسين ألفًا الآن».

أجبته وأنا أشعر ببعض الحرج: «يسعدني أن أقدمه لك الآن يا سيدي، لكنني سوف أحتاج إلى ضمانة ما، هل لديك شيء قيّم يمكنك أن تتركه لديَّ، باعتباره وعدًا منك بسداد المال؟».

أجابني: «بالطبع!» ورفع حقيبة جلدية من فوق حجره، وهو يقول لي: «لا بد أنك سمعت عن تاج الزمرد؟».

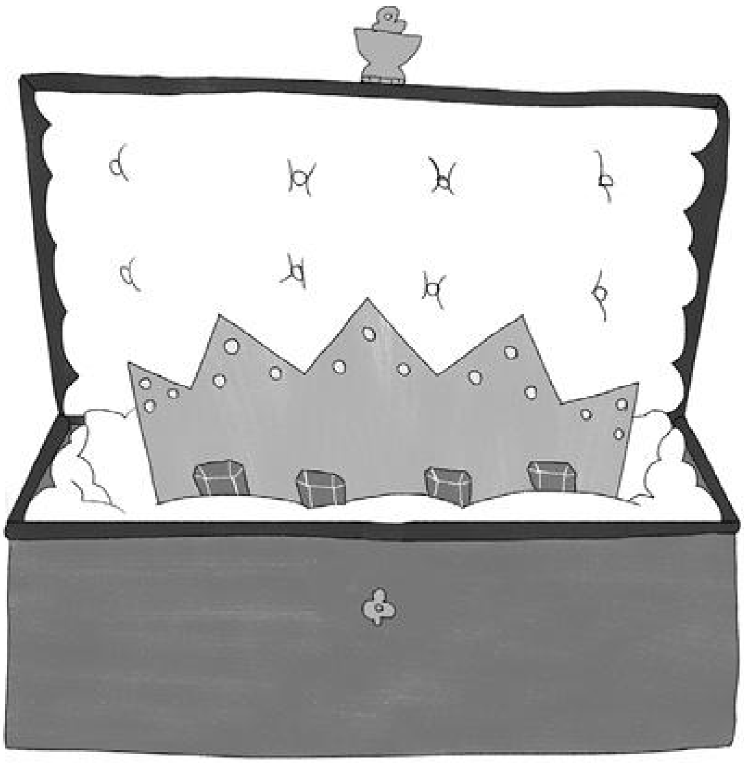
قلت وأنا أشعر بالارتباك لهذا التغيير في موضوع الحديث: «نعم، إنه من أثمن الممتلكات العامة في الإمبراطورية البريطانية».

أجابنـــي بـــابتـــسامة مـصطنعة: «بالضبط»، ثم فتح حقيبته بحرص، فوجدت بداخلها تاجًا رائعًا موضوعًا على قماش مخملي ناعم كريمي اللون، وكانت

المجوهرات المرصعة عليه تبدو كالألماس، لكن لونها مائل للزرقة، وتلمع كأمواج البحر في يوم صيفي.

ثم قال: «يوجد في التاج 39 زمردة، إضافة إلى القيمة العالية للذهب المشغول حولها، وأرى أن قيمة التاج لا تقل عن 100,000 جنيه إسترليني، أي ضعف المبلغ الذي سوف أقترضه. سوف أترك هذا لديك باعتباره الضمان لقرضي».

أمسكت بالحقيبة القيمة بين يديَّ، وحدقت في التاج المتلألئ، ثم نظرت ثانية إلى العميل.



قال العميل: «أنت تعرف يا سيد هولدر أن تركي لهذا التاج هنا يثبت مدى ثقتي بك وبهذا البنك، ولقد سمعت كثيرًا من الكلام الطيب عنك، أرجو ألا تخبر أحدًا بهذا الأمر، ويجب ألا يعلم أحد أن هذا التاج هنا، ويجب ألا يعلم أحد بأمر القرض، وعليك أن تتخذ كل التدابير الاحترازية لحراسة هذا الغرض الثمين، فسوف تقع فضيحة كبرى إذا حدث له أي شيء، إذ لا توجد جواهر زمرد أخرى مثل هذا الزمرد في العالم كله، ومن المستحيل استبدالها. سوف أتركها في عهدتك وأنا مطمئن عليها معك، وسوف أعود لاسترجاعها في صباح يوم الإثنين».

أومأت برأسي، ثم استدعيت موظف الخزانة، وطلبت منه أن يقدم للعميل خمسين ألفًا نقدًا.

لما خرج العميل، وأصبحت بمفردي ثانية ومعي الحقيبة القيمة موضوعة أمامي على الطاولة، شعرت فجأة بثقل هذه المسئولية؛ فكما قال عميلي إنه إذا وقع أي شيء لهذا التاج فسوف تصبح فضيحة قومية، ولهذا ندمتُ على الفور على موافقتي التعهد بالمحافظة عليه، لكن ندمي كان بعد فوات الأوان، وهكذا وضعته في الخزانة، ثم واصلت عملي».



الفصل الثالث

رفع السيد هولدر بصره إلينا ثم واصل حكايته قائلًا: «عندما حان موعد عودتي إلى المنزل، أخذت التاج معي، كان يمكن أن أتركه في خزانة البنك، لكنني أردت أن يبقى قريبًا مني في كل الأوقات، بسبب شعوري بمسئولية المحافظة عليه.

قررت أن أحمل الحقيبة معي من العمل وإليه في كل يوم، حتى لا يغيب مطلقًا عن نظري، وبالأمس لم أهدأ إلا بعد أن عدت إلى منزلي وصعدت بالتاج إلى الطابق العلوي، ووضعته في درج مكتبي».

نظرت إلى هولمز، وأنا أفكر في غرابة قراره هذا، لأن خزانة البنك هي بالتأكيد أكثر أمانًا لوضع هذا التاج الثمين.



تابع السيد هولدر قائلًا كأنه قد خمَّن ما دار في ذهني: «شعرت بأمان تام لوجود التاج في منزلي؛ لأن كل من يعيش في منزلي جدير بالثقة: سائس حصاني، ينام فوق الإسطبل، وهو شاب دمث الخلق، وهناك ثلاث خادمات عملن لديَّ لسنوات،

وهناك خادمة جديدة تُدعى لوسي بار، عملت لديَّ منذ شهور قليلة، لكنها مجتهدة، ونحن سعداء بعملها في منزلنا.

وهناك أفراد أسرتي، وهي أسرة صغيرة جدًّا، ولن أستغرق وقتًا في وصفها، فأنا أرمل، ولديَّ ولد واحد يُدعى آرثر، وقد تحول إلى خيبة أمل لي يا سيد هولمز، لكنني الملوم على هذا، فقد دللته كثيرًا. عندما توفيت زوجتي، كان هو كل ما لديَّ، فغمرته بحبي، ولم أرغب في أن أرى الابتسامة تفارق شفتيه، ولهذا كنت أعطيه كل ما يريده، وربما كان من الأفضل لكل منا لو أنني كنت أكثر حزمًا معه، لكنني كنت أفعل ما أعتقده صوابًا».

توقف السيد هولدر عن الكلام للحظات، وأخفض بصره لينظر إلى يديه في ندم، وفي تلك اللحظة جاءت السيدة هدسون وهي تحمل صينية الشاي. زاد استرخاء السيد هولدر بعد تناوله فنجان الشاي الأول.



وتابع قائلًا: «كما كنت أقول، إن آرثر شاب مدلل، كنت أريده أن يعمل مثلي في الأعمال المصرفية، لكنه لم يهتم، بل كان جامحًا ومتمردًا، ولا يمكن ائتمانه على مبالغ مالية كبرى. فقد انضم إلى نادٍ للرجال النبلاء، وكوَّن صداقات مع العديد من الأثرياء، ولهؤلاء الرجال عادات مكلفة؛ حيث كثيرًا ما يلعبون الورق، وبسبب هذا

خسر آرثر الكثير من المال، وأصبح يأتي إليّ ليطالب بالمزيد والمزيد من المال مرارًا و...»، وتنهد الرجل، ثم قال: «وكنت أعطيه المال، لكن ما أعطيه له لم يكن يكفيه مطلقًا.

حاول ابني أن يترك هذا النادي ويبتعد عن هذه الصحبة المؤذية لهؤلاء الأفراد، لكن في كل مرة كان صديقه السير جورج بيرنويل يقنعه بالعودة».

رأيت التفهم في عيني السيد هولمز، فقد سبق أن سمعنا الكثير من هذه القصص المشابهة.

«وقد أحضر آرثر صديقه السير جورج بيرنويل إلى منزلنا مرات عديدة، وفهمت شخصيته، أيًا كان ما يقول بيرنويل فسوف ينفذه آرثر، فهو صديق شديد الخطر على ابني، ويتعامل معه كأنه دمية في يده، وهو أكبر منه سنًّا، إلى جانب كثرة أسفاره وشخصيته الجذابة ووسامته، وآرثر يراه شخصًا جديرًا بالإعجاب».

ثم عبس السيد هولدر وتابع قائلًا: «أنا لا أثق به على الإطلاق يا سيد هولمز، لقد رأيت في عينيه نظرة معينة، تحمل الشر، لكن صغيرتي ماري لا تؤيدني في رأيي هذا، لكنها على أية حال، ترى الخير في كل الناس».

سأله هولمز: «من ماري؟».

أجاب هولدر: «ماري هي ابنة أخي، عندما توفي أخي منذ خمس سنوات، تركها وحيدة في هذا العالم، لهذا كفلتُها؛ إنها الضوء الذي ينير حياتي، فهي لطيفة وودودة ورائعة، كما تجيد إدارة الخدم، وأنا أحبها بشدة، وكذلك ابني آرثر، وفي الحقيقة هو يحبها منذ أعوام، وأنا آمل أن تبادله الحب، فهي فتاة رائعة تتمتع بالعديد من المواهب».

سرح السيد هولدر ببصره، وبدأ يعدد مواهب ابنة أخيه: «إنها فنانة رائعة... وراقصة ماهرة...، آه! ويجب أن تسمع عزفها على البيانو، فهي مذهلة فيه...».

الفصل الرابع

بعد ثلاث دقائق من الاستماع إلى استرسال السيد هولدر في وصف مواهب ماري، في النهاية نفد صبر هولمز.

وقال له وهو يرفع يده: «أرجوك، لتعد إلى الحكاية يا سيد هولدر، هل حدث شيء للتاج؟».

احمر وجهي خجلًا من وقاحة هولمز، ونظرت إليه في عبوس.

قال السيد هولدر في ضحكة خافته: «أعتذر يا سادة، فأنا قد أستمر في التحدث عن عزيزتي ماري لأيام.

أين كنا؟! آه تذكرت، وضعت التاج في درج مكتبي وأوصدته، ثم بالأمس بعد أن تناولنا القهوة في قاعة الاستقبال عقب تناولنا العشاء، أخبرت آرثر وماري عن هذا الكنز الثمين الموجود في منزلنا، لم أخبرهما بالطبع باسم العميل، واهتم آرثر وماري جدًّا بالكلام عن هذا التاج الشهير وأرادا رؤيته، لكنني رأيت أنه من الأفضل أن يبقى محفوظًا كما هو في أمان.

سألني آرثر: «أين وضعت التاج؟».

أجبته: «في مكتبي بغرفة المكتب».

علَّق آرثر قائلًا: «حسنًا، أرجو ألا نتعرض للسرقة أثناء الليل».

قلت له: «ما هذا الكلام يا آرثر!، على أية حال لقد أوصدتُ قفله، وحتى إذا افترضنا صحة كلامك فلم يستطع السارق الحصول عليه».

قال آرثر: «إن أي مفتاح قديم يمكنه أن يفتــح هذا المكتب، عندما كنت صغيرًا، كنت معتادًا على فتحه باستخدام مفتاح خزانة القبو».



ولأن آرثـر كــان معتــادًا على قول الأكاذيب الصغيرة، واختلاق القصص، لم ألتفت إلى ما قاله، لكنه تبعني إلى غرفتي في تلك الليلة وقد اعتلت وجهه نظرة جدية.

وقال لي وهو ينظر في الأرض: «يا أبي، هل يمكنك أن تعطيني 200 جنيه؟».

أجبته في حدة: «لا، لن أعطيك! لقد كنت سخيًا في إعطائك المال أكثر مما ينبغي».

قال آرثر: «لقد كنت بالفعل كريمًا جدًا معي، لكن يجب أن أحصل على هذا المبلغ، وإلا لن أستطيع أن أُرِي وجهي لأي من أفراد النادي ثانية».

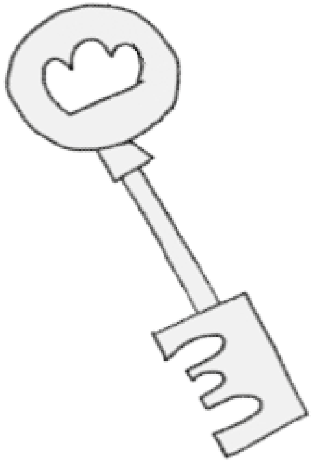
صحت قائلًا: «وهــذا أفضــل شيء!».

«أعلم أنك لا تحب هذا النادي يا أبي، لكنك لن تقبل بأن أترك هذا النادي وأنا أشعر بالعار، أليس كذلك؟ يجب أن أحصل على المال بشكل ما، وإذا لم تعطني المال، فسوف أحاول بطريقة أخرى».

استشطت غضبًا وقتها وصحت قائلًا: «لن تحصل على بنس واحد مني!».

عبس آرثر، وغادر الغرفة دون أن ينطق بكلمة أخرى.

عندمـا خـرج، فتـحـت مكتبـي، واطمأننت إلى سلامة التاج، ثم أوصدت عليه ثانية. وبعدها بدأت أسير في أنحاء المنزل لأتأكد من إغلاق كل الأبواب والنوافذ، وعندما هبطت إلى الطابق السفلي، رأيت ماري وهي تنظر عبر النافذة الجانبية في القاعة، وعندما اقتربت منها ردت مصراع النافذة وأغلقته.



وقالت وقد بدا على وجهها شيء من القلق: «أخبرني يا عمي، هل سمحت للوسي بالخروج الليلة؟».

أجبتها: «بالتأكيد لم أفعل».

قالت ماري: «لقد خرجت من باب المطبخ لتوها، أنا متأكدة أنها ذهبت إلى البوابة الجانبية لكي تلتقي شخصًا ما».

- «حقًّا؟ سوف أتحدث معها في الصباح، هل جميع الأبواب والنوافذ مغلقة؟».

- «نعم يا عمي».

- «ممتاز، تصبحين علـــى خير». وقبَّلتُ رأسها، وصعدت إلى غرفة نومي، وسرعان ما نمت.

لكنني لست من الأشخاص الذين ينامون بعمق - فغالبًا ما أستيقظ في الليل - كما أن قلقي على التاج جعل نومي أشد اضطرابًا، وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل، استيقظت على صوت بدا كأنه صوت نافذة تغلق.

لكن ما أثار رعبي أكثر أنني سمعت فجأة صوت وقع خطوات آتية من الغرفة المجاورة - غرفة مكتبي! تسللتُ خارج فراشي، وقلبي يدق بقوة، ونظرت من زاوية غرفة مكتبي..». كان السيد هولدر يحكي وهو يحدق فينا وقد اتسعت عيناه عن آخرهما، ثم قال: «ولم أستطع أن أصدق ما رأيته بعيني».

الفصل الخامس

«صحت قائلًا: «آرثر! أيها اللص! كيف تجرؤ على لمس هذا التاج!»».

كان مصباح الغاز كما هو منخفض الإضاءة بعد أن أخفضت إضاءته عندما تركت الغرفة، ورأيت ابني واقفًا هناك لا يرتدي سوى قميص وبنطال، وممسكًا بالتاج الثمين بين يديه، وبدا كأنه كان يحاول ليه بكل قوته.

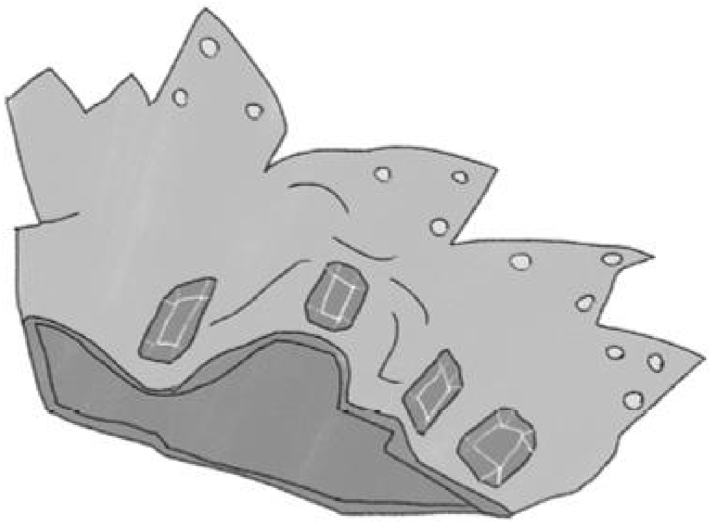


ومع صيحتي وقع التاج من بين يديه، وسقط على المكتب، فشحب وجهه. أخذت التاج وفحصته، ووجدت إحدى الرؤوس الذهبية التي يفترض أنها مرصعة بثلاث زمردات ناقصة.

صحت في ثورة غضب: «أيها الفاسد! لقد أفسدت التاج! لقد لوثت اسمي وعملي إلى الأبد! أين القطعة الناقصة التي سرقتها؟».

صــاح آرثــر فـــي اندهـــاش: «سرقتها؟».

أجبته في غضب هادر وأنا أهزه من كتفيه في عنف: «نعم، أيها اللص! هناك قطعة ناقصة تحتوي على ثلاث جواهر، وأنت أخذتها! اعترف بهذا، أم أنك كاذب إضافة إلى كونك لصًّا؟».



أجابني آرثر في غضب: «يكفي ما قلته من إهانات، فلن أتحمل أكثر من هذا، سوف أغادر المنزل في الصباح، وأشق طريقي بنفسي في هذه الدنيا، ولن أقول أي شيء آخر عن هذا الأمر».

صحت فيه قائلًا: «سوف تغادره بصحبة الشرطة! لقد ارتكبت جريمة يا آرثر».

صاح آرثر بدوره: «لا بأس! اتصل بالشرطة، دعهم يبحثوا عما يمكنهم إيجاده إذن».

في ذلك الوقت، كان كل من في المنزل قد استيقظ على صياحنا، كانت ماري أول من أسرع إلينا في غرفة المكتب، ولمَّا رأت التاج أطلقت صرخة مكتومة ثم سقطت مغشيًا عليها.

ثم أرسلتُ أنا إحدى الخادمات لكي تستدعي الشرطة.

وبعدما هدأ آرثر قليلًا، سألني وهو واقف وقد عقد ذراعيه أمامه، عما إذا كنت سوف أتهمه بالسرقة.

أجبته: «يجب أن أفعل، إن التاج ملكية عامة».

قال آرثر: «أرجو ألا تطلب منهم إلقاء القبض عليَّ على الفور، بل أمهلني لأغادر المنزل لمدة خمس دقائق فقط، وإذا سمحت لي بهذا، فسوف يعود هذا الأمر بالفائدة على كل منا».

ضحكت عاليًا: «أتركك تغادر لخمس دقائق حتى تهرب؟ أو لكي تخفي ما سرقته؟» ثم رأيت وجه ابني وقد تجهم، وقلت له: «آرثر، ليست سمعتي أنا وحسب المعرضة للخطر، بل أيضًا سمعة الرجل العظيم المسئول عن حراسة هذا التاج، وقد قال لي إن أية فضيحة متعلقة بالتاج سوف تؤثر على الدولة بأكملها. يجب ألا تجعل الأمر يصل إلى هذا الحد، أخبرني فقط بما فعلته بالزمردات الثلاث، ويمكننا إصلاح الأمر».

هز آرثر رأسه ولم يقل شيئًا.

قلت له مرة أخرى في تنهد: «آرثر لقد رأيتك متلبسًا بالجريمة، إذا أخبرتني بمكان الزمرد، فسوف أعفو عنك».

سار آرثر بعيدًا عني وهو يقول في تهكم: «قدِّم عفوك لمن يطلبه».

لم يفد أي من كلامي في دفعه للاعتراف، ولم يبق أمامي سوى استدعاء الضابط لإلقاء القبض عليه.

فتش أفراد الشرطة آرثر، وفتشوا كل غرف المنزل، لكنهم لم يجدوا أثرًا للجواهر المفقودة، ولم ينطق آرثر بأية كلمة، وأخذته الشرطة إلى القسم هذا الصباح، واحتجزوه في زنزانة.

وقد أتيت لتوي من قسم الشرطة يا سيد هولمز. أناشدك أن تبذل كل جهدك لكي تحل هذا اللغز، إن قوات الشرطة ليس لديها أي دليل، وقد أخبروني بأن آتي إليك. أنا بحاجة لأن أعرف ما فعله آرثر بهذه الجواهر الثمينة.

يمكنك أن تطلب ما تشاء من أموال، فلا تهمني التكلفة، فلقد عرضت بالفعل جائزة قدرها 1000 جنيه إسترليني مقابل القطعة المفقودة. أوه! ماذا أفعل؟ لقد فقدت المجـوهرات، وفقـــدت سمعـتي، وفقـــــدت ابني، وكل هـــذا فــي ليلة واحدة!».



غطى السيد هولدر عينيه بيديه كأنه على وشك أن يبكي.

ظل هولمز صامتًا لبضع دقائق، وهو يحدق في النار، وقد انعقد حاجباه في تركيز.

ثم سأل: «هل يأتي إلى منزلك الكثير من الزائرين؟».

أجاب هولدر: «فقط شريكي في العمل وأسرته، وأحد أصدقاء آرثر، السير جورج بيرنويل، الذي زاره مؤخرًا عدة مرات، ولا أظن أن هناك أحدًا آخر».

سأل هولمز: «هل كثيرًا ما تخرج من منزلك؟».

- «لا، لكن آرثر يخرج كثيرًا، فأنا وماري نلازم المنزل، ولا نفضل الاختلاط مع الآخرين».

قلت له: «هذا غريب بالنسبة لشابة صغيرة، فالفتيات في مثل سنها عادة ما يحببن الحفلات الراقصة وحفلات العشاء».

نظر إليَّ السيد هولدر قائلًا: «إن ماري شابة هادئة، كما أنها ليست صغيرة جدًّا، فهي في الرابعة والعشرين من عمرها».

قال هولمز: «يبدو أن الجريمة كانت صادمة بالنسبة لها، أنت قلت إنها سقطت مغشيًا عليها في مكان الجريمة؟».

أجاب هولدر: «نعم، وظلت تبكي طوال اليوم».

- «وهل أنت واثق بأن ابنك مذنب؟».

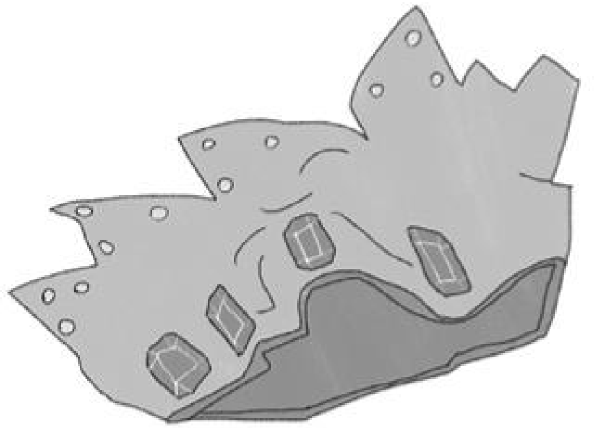
- «بالطبع، فلقد رأيته بعيني والتاج في يديه».

قال هولمز: «لكن هذا ليس دليلًا قاطعًا، هل تضررت بقية التاج؟».

أجاب هولدر: «نعم، لقد التوى».

- «ألا تظن أن آرثر كان يحاول فقط إصلاح التوائه؟».

نظر السيد هولدر إلى هولمز وقد ارتسمت على شفتيه شبح ابتسامة باهتة وقال: «بارك الله فيك! أنت تحاول أن تدافع عنه، لكن للأسف أظن أنه يتعين علينا الاعتراف بالحقيقة، فإذا لم يكن يسرق التاج، فماذا كان يفعل في غرفة مكتبي؟ إذا كان بريئًا، فلماذا لم يقل هذا؟».



تمتم هولمز: «هممم»، ثم أخذ يراجع نقاط القضية في ذهنه، وسأله: «ما كان رأي الشرطة في الضوضاء التي أيقظتك؟».

- «يرون أنها صادرة عن صوت إغلاق آرثر لباب غرفة نومه».

قال هولــمز في تهكم: «هذا محتمل! إذا كان هناك شخص يوشك على ارتكاب جريمة، فهل يغلق باب غرفته بصوت مرتفع حتى يوقظ أهل المنزل؟ لا أظن».
توقف هولمز قليلًا، ثم قال: «في رأي الشرطة أين توجد المجوهرات؟».

- «لا يعرفون، فرجال الشرطة يقومون حاليًا بتفكيك الأثاث على أمل إيجادها في مكان ما».

نظر هولمز في دهاء وسأله: «هل فكروا في البحث خارج المنزل؟».

- «نعم، فتشوا الحديقة بالكامل».

قال هولمز: «يا سيدي العزيز أعلم أنك قد تظن أن القضية سهلة، لكنها في الحقيقة قضية عسيرة».



وأضاف: «دعنا نفكر فيما افترضته، أنت ترى أن ابنك خرج من غرفة نومه وذهب إلى غرفة مكتبك، وفتح درج المكتب، وأخذ التاج، ثم كسر جزءًا من التاج يحتوي على ثلاث جواهر، ثم ذهب إلى مكان آخر ليخبئ هذا الجزء، حتى إنه لم يتمكن أحد إلى الآن من العثور عليه، وبعد إخفائه أعاد التاج ثانيةً إلى غرفة مكتبك ليضعه فيها، وهو بهذا يعرض نفسه لخطر عظيم بأن تكتشف سرقته. فهل تعتقد حقًّا أن هذا منطقي؟».

عندما صاغ هولمز الموقف على هذا النحو لم يعد يبدو منطقيًا بأية حال من الأحوال.

سأل السيد هولدر وهو يهز كتفيه: «لكن ما التفسير إذن؟».

أجاب هولمز: «إن مهمتنا أن نتوصل إلى التفسير، وأرى يا سيد هولدر أنه قد حان الوقت لكي نذهب لمعاينة منزلك».

الفصل السادس

لم يكد هولمز يقول أي شيء ونحن في طريقنا إلى مقاطعة ستريتام - الضاحية الواقعة في جنوب لندن والتي يعتبرها السيد هولدر بيته. فقط جلس وقد أطرق رأسه حتى كاد ذقنه يلتصق بصدره، وجذب قبعته لتحجب عينيه. لا بد أن السيد هولدر ظن أنه مستغرق في النوم، لكن كان واضحًا لي أنه مستغرق في التفكير.

كان منزل السيد هولدر، المسمى فيربانك، عبارة عن مبنى كبير يقع على مسافة غير بعيدة من الطريق. دخلنا من خلال بوابتين حديديتين كبيرتين، وسرنا عبر الممر الفسيح الذي تحده أعشاب تغطيها الثلوج.



على الجانب الأيمن من الممر، توجد بوابة صغيرة من الخشب، تنفتح على ممر آخر قصير يقع بين شجيرات مصطفة بأناقة على الجانبين، ويؤدي إلى الباب الخلفي؛

حيث يمكن تسليم أي طلبيات توصيل. وعلى الجانب الأيسر من الممر يوجد ممر آخر أظن أنه يؤدي إلى الإسطبلات، ولا يعد هذا الممر ملكية فردية، بل هو ملكية عامة، رغم أنه لا يبدو عامًا نظرًا لقلة مستخدميه.

عندما وصلنا إلى الباب الأمامي تركنا هولمز الذي ذهب ليتفقد المكان بمفرده، أمام المنزل وبطول ممر توصيل الطلبات.

دخلنا أنا والسيد هولدر إلى غرفة الطعام، وانتظرنا - إلى جوار المدفأة - عودة هولمز، وبالكاد هدأ جسمي قليلًا من لسعة البرد، هذا عندما انفتح الباب ودخلت منه سيدة شابة، كانت طويلة ونحيفة، وشعرها أسود، وبشرتها شديدة الشحوب، وحتى شفتاها كانتا شاحبتين أيضًا، لكن عينيها كانتا حمراوين ومنتفختين من أثر البكاء.

كان حزنها أشد حتى من الحزن الذي بدا على السيد هولدر عندما جاء إلى بنايتنا. تجاهلتني الفتاة، واتجهت مباشرة إلى السيد هولدر وأمسكت بيده.



وسألته: «هل طلبتَ من الشرطة أن يطلقوا سراح آرثر يا عمي؟».

أجاب السيد هولدر: «لا، لا، يا ماري، لا بد أن يجري التحقيق بشكل كامل».

قالت ماري: «لكنني واثقة بأنه بريء! وأعلم أنه لم يفعل شيئًا، وسوف تندم على تعاملك معه بهذه القسوة».

قال السيد هولدر: «إذا كان بريئًا، فلماذا لم يقل هذا؟».

أجابته: «ربما كان غاضبًا جدًّا لأنك شككت فيه».

- «ليس هناك شك! فقد رأيت التاج في يديه».

هزت ماري رأسها، وقد بدا أنها على وشك البكاء، وقالت في إصرار: «لا بد أنه أخذه فقط لكي يراه، أرجو أن تصدقني، إنه بريء، أرجوك أن تخبر الشرطة بأن تطلق سراحه، من المؤسف أن يبقى المسكين آرثر في السجن!».

أجاب السيد هولدر: «يا ماري، لا يمكنني أن أطلق سراحه إلى أن تظهر الجواهر. إن حبك لآرثر يعميك، ولن أتستر على السرقة وأتظاهر بعدم وقوعها. ولقد ذهبتُ إلى محقق محترم في شارع بيكر، واستعنت به لكي يأتي ويبحث في القضية».

استدارت ماري لتواجهني وسألت: «هذا الرجل؟».

- «لا، هذا صديقه الطبيب واطسون، فقد رغب السيد هولمز أن نتركه بمفرده، وربما يتجول الآن عند ممر الإسطبلات».

رفعت حاجبيها وهي تردد: «ممر الإسطبلات؟ هل يأمل في أن يجده هناك؟».

في تلك اللحظة دخل هولمز علينا.

وقالت ماري: «آه، لا بد أنه هو، أرجو يا سيدي أن تثبت أن ابن عمي آرثر بريء، وأنا واثقة ببراءته».

أخذ هولمز يزيح الثلوج عن حذائه، وهو يخبط قدميه على ممسحة الأرجل، وقال: «أتفق معكِ يا آنسة هولدر، وأنا واثق بأنني سأتمكن من إثبات ذلك. هل تسمحين لي بأن أطرح عليكِ بعض الأسئلة؟».

أجابت ماري: «بالتأكيد يا سيدي، إذا كانت سوف تفيد في إزالة غموض هذه القضية».

سأل هولمز: «هل سمعتِ بنفسك أي صوت ليلة الأمس؟ أي صوت غريب؟».

أجابت: «لم أسمع شيئًا إلى أن بدأ عمي يصيح، وبعدها ذهبت إلى غرفة المكتب».

- «وهل أغلقتِ كل النوافذ والأبواب بالأمس؟».

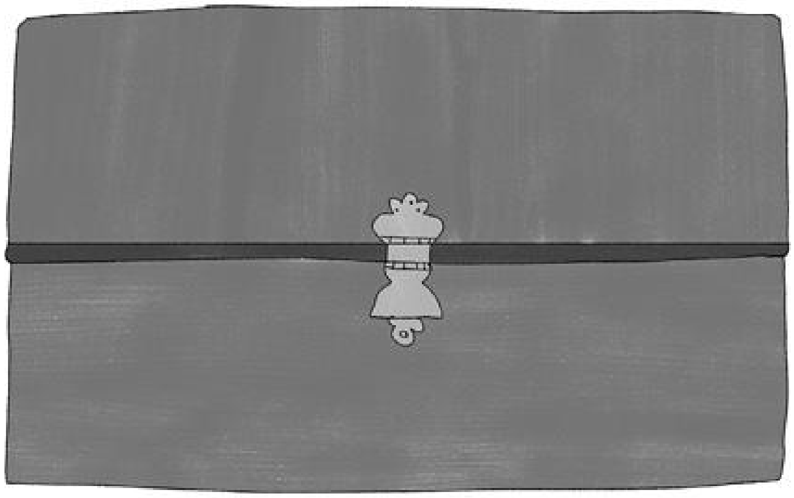
أجابت ماري: «نعم».

- «وهل كانت لا تزال مغلقة في صباح اليوم؟».

- «نعم».

قال هولمز: «لديكم خادمة لديها حبيب، وقلتِ لعمك في ليلة الأمس إنها خرجت لكي تراه؟».

- «نعم، هي الخادمة التي قدمت لنا القهوة في قاعة المعيشة ليلة أمس، وربما تكون قد سمعت عمي وهو يتحـــــدث عن التاج».



قال هولمز: «آه، فهمت، أنـتِ تشيرين إلى احتمالية أنها خرجت لكي تخبر حبيبها عن التاج، وأن الاثنين ربما خططا للسرقة معًا».

سأل السيد هولدر في نفاد صبر: «ما جدوى أيٍّ من هذه النظريات؟ لقد قلت لكم إنني رأيت آرثر والتاج في يديه!».

قال هولمز: «انتظر لحظة يا سيد هولدر، سوف نعود فيما بعد إلى رؤيتك لآرثر، لكن بشأن هذه الفتاة يا آنسة، أنتِ تقولين إنكِ رأيتها عائدة باتجاه باب المطبخ؟».

أجابت ماري بصوت مبحوح: «نعم، عندما ذهبت لكي أتأكد من إحكام إغلاق الباب في الليل، رأيتها تتسلل إلى الداخل، ورأيت أيضًا الرجل الذي قابلته بعد غروب الشمس».

سألها هولمز: «هل تعرفينه؟».

- «أوه، نعم، إنه بائع الخضراوات الذي يحضر خضراواتنا إلى هنا، واسمه فرانسيس بروسبر».

سأل هولمز: «وهل كان يقف إلى يسار الباب، على مسافة تبعد قليلًا عن الممر؟».

أجابت ماري وقد تفاجأت قليلًا: «نعم، هذا صحيح».

سأل هولمز: «وهذا الرجل لديه ساق خشبية؟».

ظهر ما يُشبه الخوف في عيني ماري وهي تقول في ذهول: «كأنك ساحر!»، ثم ابتسمت في وهن وهي تسأله: «كيف عرفت هذا؟»، لكن هولمز لم يبتسم.

قال هولمز: «أود أن أصعد إلى الطابق العلوي، والأرجح أنني سوف أسير حول المنزل ثانيةً، لكن ربما من الأفضل أن ألقي نظرة على النوافذ السفلية أولًا».

سار هولمز مسرعًا من نافذة إلى أخرى، وتوقف فقط عند نافذة كبيرة تطل على ممر الإسطبل، ثم فتحها وفحص عتبة النافذة بعناية بعدسته المكبرة.

ثم قال: «والآن، لنصعد إلى الطابق العلوي».



الفصل السابع

كانت غرفة مكتب السيد هولدر عبارة عن غرفة صغيرة بها أثاث بسيط مكون من سجادة رمادية ومكتب ومكتبة كتب.

سار هولمز نحو المكتب أولًا، ونظر إلى قفله عن كثب.

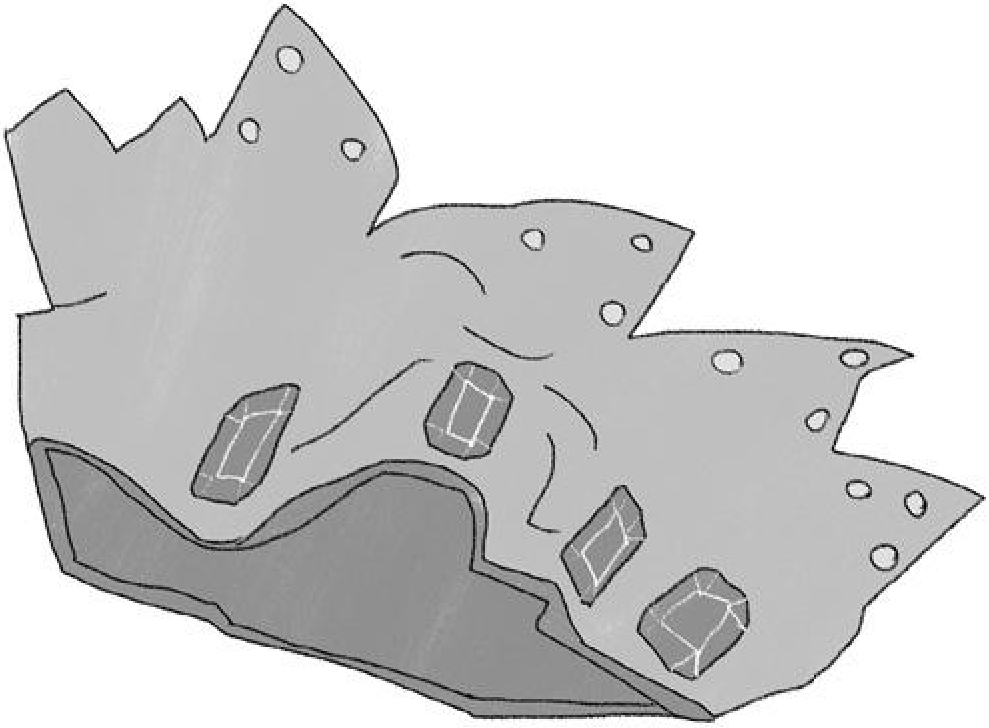
وسأل: «ما المفتاح الذي فتحه؟».

أجاب السيد هولدر: «المفتاح الذي تحدث عنه آرثر، مفتاح خزانة القبو. ها هو موجود أعلى المكتبة»، وأشار السيد هولدر إلى حيث يوجد المفتاح.

أمسك هولمز المفتاح، وفتح درج المكتب، وقال: «إن القفل لا يصدر صوتًا عند فتحه، لا عجب إذن أن صوت فتحه لم يوقظك من النوم». ثم أخرج هولمز حقيبة سوداء دائرية وسأل: «وأظن أن هذه الحقيبة تحوي التاج؟ يجب أن نرى التاج».

فتح هولمز الحقيبة، وأخرج التاج ووضعه على المكتب. كان التاج تحفة مذهلة؛ في منتهى الأناقة وروعة الصنع. أحجاره من الزمرد هي أجود ما رأيته قط؛ إذ يكاد لونها يكون شفافًا لولا درجة بسيطة من اللون الأزرق. وعلى أحد جوانب التاج توجد حافة مكسورة ومفقودة لرأس يفترض أنها مرصعة بثلاث جواهر.

قال هولمز: «والآن يا سيد هولدر، أرجو منك أن تكسر رأسًا آخر من رؤوس هذا التاج».



تراجع السيد هولدر في ذعر قائلًا: «لا، لا يمكن».

فقال هولمز: «إذن، سوف أفعل أنا ذلك»، وحاول بكل قوته أن يثني التاج، لكنه لم يستطع.

ثم قال: «إن أصابع يدي قوية جدًّا، ومع هذا لم أستطع كسره، وما كان أي شخص عادي ليستــطيع ذلـــك، ليس بمفرده على أية حال، بل يحتاج ذلك إلــى قوة رجلين لكــــــي تكسره، وماذا يحدث عند كسره في اعتقادك يا سيد هولدر؟ سوف يصدر صوتًا عاليًا كأنه طلقة نارية. ولو أن كل هذا جرى هنا، في هذه الغرفة التي تجاور غرفة نومك، لكنت قد استيقظت».



بدا الارتباك واضحًا على السيد هولدر وقال: «لا أعلم ماذا تقصد، كل هذا يبدو غامضًا بالنسبة لي».

استدار هولمز ليواجه ماري: «ماذا ترين يا آنسة هولدر؟».

أجابت ماري: «أنا أيضًا لا أعلم».

قال هولمز: «يا سيد هولدر، هل كان ابنك يرتدي خفًّا أو حذاء عندما رأيته؟».

- «لا هذا ولا ذاك، لم يكن يرتدي سوى قميص وبنطال».

قال هولمز: «شكرًا لكما، سوف أواصل تحقيقاتي بالخارج»، ثم أعاد وضع التاج داخل الحقيبة.

أصر هولمز على الخروج بمفرده، لأن وجود أية آثار أقدام إضافية سوف تجعل مهمته أصعب، وجاءنا بعد مرور ساعة، وكان حذاؤه ذو الرقبة العالية مغطى بالثلج، وتعبيرات وجهه لا تنبئ بشيء.

قال هولمز: «أظن أنني رأيت كل ما يمكن رؤيته، وإن أفضل شيء الآن هو أن أعود إلى شارع بيكر».

سأله السيد هولدر في يأس: «لكن الجواهر يا سيد هولمز، أين هي؟».

أجاب هولمز: «لا أعلم».

بدا الخوف على وجه السيد هولدر، فصاح يقول: «لن أراها ثانية مطلقًا! وابني؟ هل يمكنك أن تمدني بأي أمل؟».

أجاب هولمز: «إن رأيي لم يتغير، ما زلت أعتقد أن آرثر بريء».

- «إذن، ماذا جرى في منزلي ليلة الأمس؟».

ارتدى هولمز معطفه وقبعته وقال: «أرجو أن تأتي إلى منزلي في شارع بيكر غدًا، ما بين التاسعة إلى العاشرة صباحًا، وسوف أبذل جهدي لكي أوضح هذا اللغز قليلًا، هل أنت واثق بأنك لا تهتم بالتكلفة، ما دمت ستتمكن من استعادة الجواهر؟».

- «نعم يا سيدي، بل قد أعطيك ثروتي كلها مقابل هذه الزمردات».

- «سوف أبحث في الأمر من الآن إلى الغد، إلى اللقاء يا سيد هولدر».

كان واضحًا لي أن صديقي قد أوشك على الانتهاء من حل اللغز، وفي طريق عودتنا إلى المنزل حاولتُ أن أحمله على أن يوضح لي ما توصل إليه، لكنه استمر في تغيير الموضوع، وأخيرًا استسلمت.

وصلنا إلى المنزل قبل الساعة الثالثة عصرًا بقليل، وأسرع هولمز إلى غرفة نومه، وخرج بعد دقائق قليلة وهو يرتدي معطفًا قديمًا مهترئًا وقد رفع ياقته، وبنطالًا قذرًا، ووشاحًا أحمر، وحذاءً باليًا ذا رقبة عالية.



نظر في المرآة أعلى المدفأة.

وقـــال: «هــــــذا مناســـب، كـــــنت أتمنى لو أتيتَ معي يا واطسون، لـــكن للأسف لا يمكـن».

تناول هولمز شريحة جبن من الوجبة التي كانت السيدة هدسون قد أحضرتها، ووضعها بين شريحتي الخبز، ثم وضعها في جيبه، وبعدها ومن دون أن ينطق بكلمة، خرج وأغلق الباب وراءه.

الفصل الثامن

كنت قد انتهيت لتوي من تناول الشاي عندما عاد هولمز.

كان يصفر ويطوح الحذاء البالي في يده، ثم ألقاه في الزاوية، وأعد لنفسه فنجانًا من الشاي.

وقال: «أنا لن أبقى، بل سوف أخرج ثانية على الفور»، ولم يجلس حتى إلى المائدة.

سألته وأنا أمد يدي لتناول كعكة أخرى: «إلى أين؟».

أجابني في فرحة: «أوه، إلى منطقة ويست إند، وربما أتأخر في العودة، لا تنتظرني».

- «كيف تسير تحقيقاتك؟».

أجابني: «لا بأس، لقد ذهبت ثانية إلى مقاطعة ستريتام، لكنني لم أذهب إلى منزل السيد هولدر؛ إنها قضية شائقة جدًّا يا واطسون، وأنا سعيد أنني توليتها. ومع هذا يجب ألا أبقى هنا وأثرثر، فلا بد أن أنزع هذه الملابس المريعة وأعود مهندمًا ثانية».

عاد هولمز إلى غرفة نومه، وبعد دقائق معدودة سمعته يهبط الدرج بسرعة، وهو يصيح: «إلى اللقاء يا واطسون!»، وأغلق باب البناية. تنهدت في إحباط، لأنه لم يطلب مني الذهاب معه.

استقررت إلى جوار المدفأة ومعي كتاب، وانتظرت عودته، ولمَّا دقت الساعة معلنة انتصاف الليل ولم يظهر هولمز، ذهبت إلى فراشي.

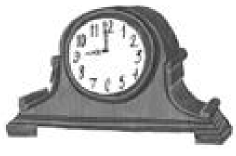
لا أعلم متى عاد هولمز إلى مسكنه، لكنني رأيته في الصباح جالسًا على مائدة الإفطار وفي يده فنجان القهوة، وفي اليد الأخرى الجريدة.

قال: «معذرة على البدء في الإفطار من دونك يا واطسون، لكن السيد هولدر سوف يأتي في وقت مبكر هذا الصباح».

في تلك اللحظة، دقت الساعة التاسعة، وعلى الفور تبع دقات الساعة المبهجة رنين جرس الباب. ابتسم هولمز قائلًا: «لا بد أنه السيد هولدر».



تفاجأت من مدى التغير البادي على السيد هولدر؛ إذ إن وجهه العريض والممتلئ أصبح الآن شاحبًا، ووجنتيه صارتا غائرتين، وبدا أن شعره شاب قليلًا! فكأنه قد شاخ بين ليلة وضحاها!



كان يسير في وهن وكتفاه متهدلتان، على عكس دخوله العنيف علينا بالأمس. دفعت الكرسي نحو الأمام فانهار جالسًا فوقه.



قال السيد هولدر: «لا أعرف ما الذي اقترفته لكي أنال كل هذا.

منذ يومين فقط، كنت رجلًا سعيدًا وناجحًا، ولا يشغلني شيء في هذه الدنيا، والآن أصبحت وحيدًا شاعرًا بالخزي، فليس ابني في السجن وحسب، بل أيضًا هجرتني ابنة أخي ماري».

قال هولمز: «هجرتك؟».

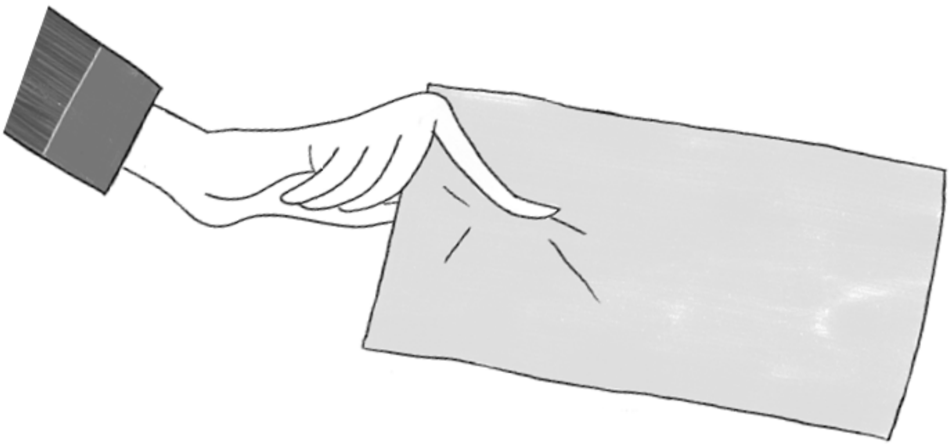
أجاب السيد هولدر في أسى: «نعم، لم تهبط من غرفتها في هذا الصباح لكي تتناول الإفطار معي، وعندما ذهبت الخادمات لإيقاظها، وجدن أن فراشها كما هو لم تنم عليه، وغرفتها خاوية، ووجدن ورقة كتبتها لي ووضعها على مائدة القاعة. لقد جرت بالأمس مشاحنة بيننا. كان آرثر ولا يزال يحب ماري، ولهذا قلت لها إنها لو كانت قبلت بزواجها منه، لما فعل فعلته. عندما قلت هذا الكلام لم أقصد سوى أنها كانت ستحدث أثرًا إيجابيًّا عليه، لكن ما كان ينبغي أن أقول ذلك».

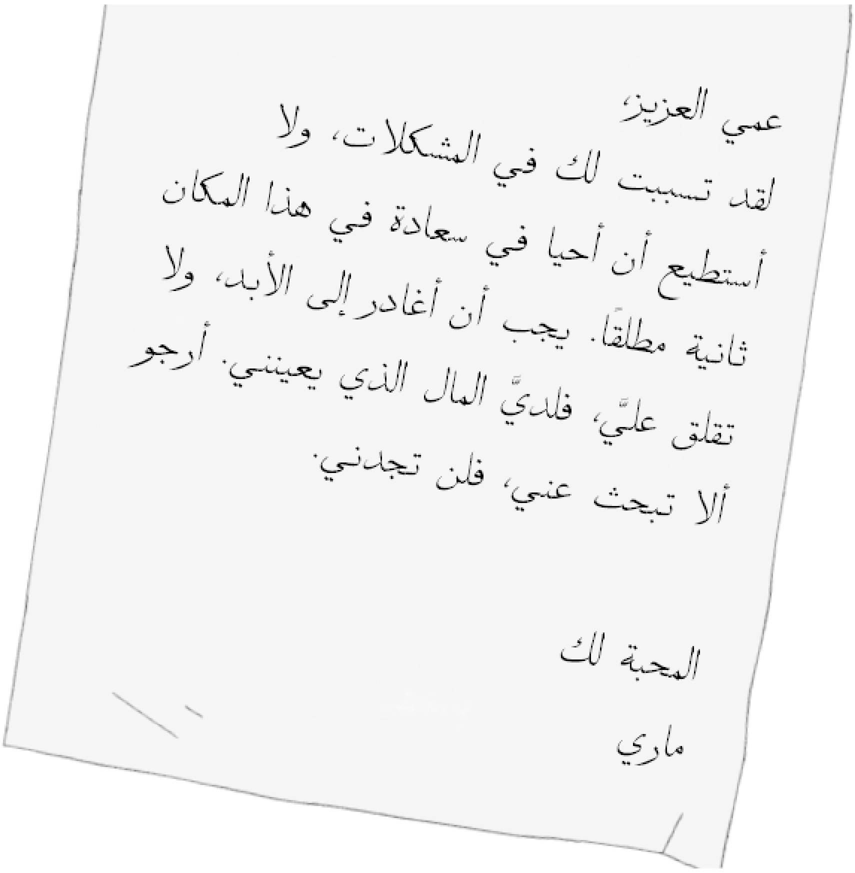
وأخرج السيد هولدر الورقة المطوية من جيبه، وناولها هولمز.

بعد أن قرأ هولمز الورقة قال: «لعل هذا هو الأفضل، أعتقد أن مشكلاتك سوف تنتهي قريبًا».

سأل السيد هولدر وقد دب الأمل في نفسه: «هل توصلت إلى شيء؟ أين الجواهر؟».

اندهشت عندما سمعت هولمز يسأله: «هل تدفع مبلغ 1000 جنيه إسترليني عن كل زمردة؟».




عمي العزيز

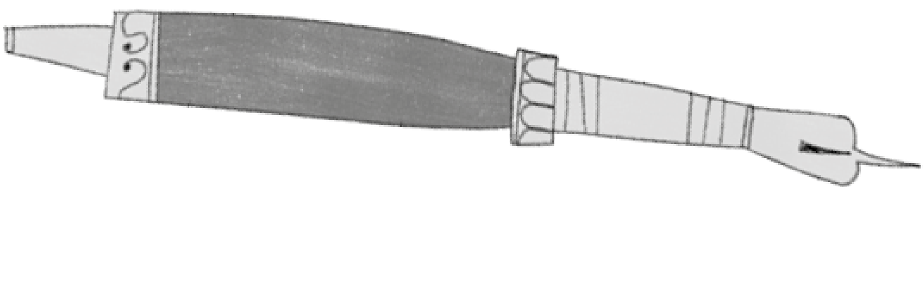
لقد تسببت لك في المشكلات، ولا
أستطيع أن أحيا في سعادة في هذا المكان
ثانية مطلقًا. يجب أن أغادر إلى الأبد، ولا
تقلق عليَّ، فلديَّ المال الذي يعينني. أرجو
ألا تبحث عني، فلن تجدني.

المحبة لك

ماري

- «بل أدفع حتى 10,000 جنيه إسترليني».

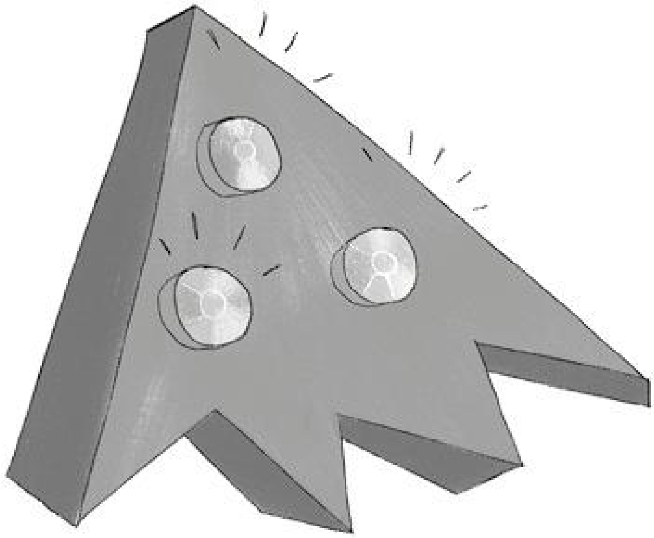
- «لا ضرورة لكل هذا المبلغ يا سيد هولدر، بل يكفي 1000 عن كل زمردة، بمجموع 3000 عن الزمردات الثلاث، إضافة إلى 1000 أخرى وهي الجائزة التي ذكرتها. أي الإجمالي 4000 جنيه إسترليني، أرجو أن توقع هنا بما يفيد أنك سوف تدفع هذا المبلغ، ها هو القلم».



بدا السيد هولدر في اندهاش تام وهو يوقع على الورقة التي قدمها له هولمز.

وفي اللحظة التي انتهى فيها الرجل من التوقيع، استدار هولمز، وأخرج شيئًا من مكتبه، وألقاه أمامنا فوق الطاولة.

إنها قطعة الرأس الذهبية المرصعة بثلاث جواهر، وحين وقع شعاع من ضوء الشمس القادم من النافذة على إحدى تلك الجواهر، تألقت بشدة.



صاح السيد هولدر في سعادة، وأمسك بالقطعة قائلًا: «إنها لديك! لقد نجوتُ!».

وضم قطعة المجوهرات إلى صدره وهو يبتسم ابتسامة واسعة.

قال هولمز بشيء من الجدية: «هناك ما تدين به يا سيد هولدر».

قال السيد هــولدر متعجبًا: «أدين؟!» ثم أمسك بالقلم وهو يقول: «حدد المبلغ، وسوف أدفعه».

أجاب هولمز: «الدَّين ليس لي، إن مبلغ 4000 تغطي كل المصروفات، لكنك مدين باعتذار لابنك».

سأل السيد هولدر: «ألم يكن آرثر هو من أخذ المجوهرات؟».

- «أخبرتك بالأمــس، وأكــرر كــلامــي اليـــوم، أن المذنب ليس آرثر، ابنك ليس لصًّا».

وضــع السيد هولدر يده على جبهته ثم قال بسرعـة: «اسمـح لـي إذن بـأن أذهب إليه على الفور لأخبره بأننا قد اكتشفنا الحقيقـة».



ابتسم هولمز قائلًا: «إنه يعرفها بالفعل، فعندما عرفتُ ما جرى، ذهبت لرؤية آرثر في قسم الشرطة، وأخبرته بالقصة كاملة، ووافقني على صحة نظريتي، وأضاف بعض التفاصيل التي لم تكن واضحة تمامًا بالنسبة لي».

قال السيد هولدر: «بحق الله، هيا أخبرني، وَضِّح هذا اللغز العجيب!».

- «سوف أخبرك به، لكن أولًا هناك أمر يجب أن تعرفه، ولن يكون هينًا عليك سماعه، إن السير جورج بيرنويل وماري كانا يتقابلان، والآن هما معًا».

قال السيد هولدر: «ابنة أخي ماري؟ مســتحيل!».

أجاب هولمز: «هذا صحيح للأسف، فعندما دعــوت الســير جورج بيرنويل إلى منزلك لم تكن أنت ولا ابنك تدريان نوعية هذا الشخص. إنه أحد أخطر الرجال في إنجلترا، مقامر فاسد وشرير لا يرجى إصلاحه، إنه رجل منعدم القلب والضمير.

إن ابنة أخيك ساذجة، وقد صدَّقته عندما أخبرها بأنه يحبها، وغرها اهتمامه بها، وكان يأتي لرؤيتها تقريبًا في كل ليلة، ثم سمع بأمر هذا التاج واستغلها لكي يحصل عليه».

قال السيد هولدر: «لا أصدق!».

أومأ هولمز رأسه كأنه كان يتوقع رد فعله.

- «دعني أخبرك بما جرى في منزلك تلك الليلة».

الفصل التاسع

مال هولمز إلى الخلف في كرسيه، ووضع ساقًا فوق الأخرى.

«بعدما ذهبت إلى غرفتك، تسللت ماري إلى الطابق السفلي، وتحدثت مع حبيبها، السير جورج بيرنويل، من خلال النافذة التي تطل على ممر الإسطبل، فأخبرته عن التاج ومكانه.

أنا متأكد أنها تحبك يا سيد هولدر، لكن حبها للسير جورج بيرنويل كان قويًا، إنه شاب جذاب، كما أخبرتنا سابقًا، وقد أراد بشدة أن يحصل على هذا التاج، وشخصية ماري من السهل إقناعها، وبالتالي أصبحت شريكته في الجريمة.

عندما رأتك تهبط إلى الطابق السفلي، أبعدت السير جورج، وأسرعت بإغلاق النافذة، ثم أخبرتك بأن الخادمة تلتقي بائع الخضراوات، وتلك حقيقة، لكنها قالتها لكي تلهيك.

ذهب ابنك آرثر إلى فراشه بعد حديثه معك، لكنه لم ينم جيدًا بسبب قلقه من دَينه، وفي منتصف الليل سمع وقع أقدام خافتة تسير خارج غرفته؛ لهذا نهض من فراشه ليرى ماذا يجري. وتفاجأ عندما رأى ماري وهي تتسلل في الردهة، ثم تدخل وتختفي في غرفة مكتبك. فشعر بالفضول لرؤية ما تفعله، فارتدى قميصه وبنطاله وانتظرها.

وبعد قليل، خرجت من الغرفة، وعلى ضوء مصباح الردهة رأى أنها تحمل التاج الثمين، وهبطت به إلى الطابق السفلي، فاختبأ آرثر خلف الستارة لكي يشاهد ما يجري بالقاعة بالأسفل.

ورأى ماري وهي تفتح النافذة بتأنٍّ، وتعطي التاج شخصًا بالخارج، ثم صعدت ثانية إلى الطابق العلوي حيث غرفتها، وبمجرد أن أغلقت باب غرفتها، علم آرثر أنه يتعين عليه أن يفعل شيئًا لإنقاذ التاج، وإنقاذ سمعتك. فأسرع بالهبوط إلى الطابق السفلي، وفتح النافذة ثانية، ثم خرج منها وسار على الثلوج بقدميه العاريتين، وعلى ضوء القمر، رأى شبح شخص يسير في الممر، وهو اللص الحقيقي، السير جورج بيرنويل، يحاول الفرار، لكن آرثر أمسك به، وتقاتل الاثنان

وكلاهما يمسك بالتاج، الذي انكسر فجأة! ولما رأى ابنك أن التاج في يديه، أسرع بالعودة ودخل عبر النافذة.

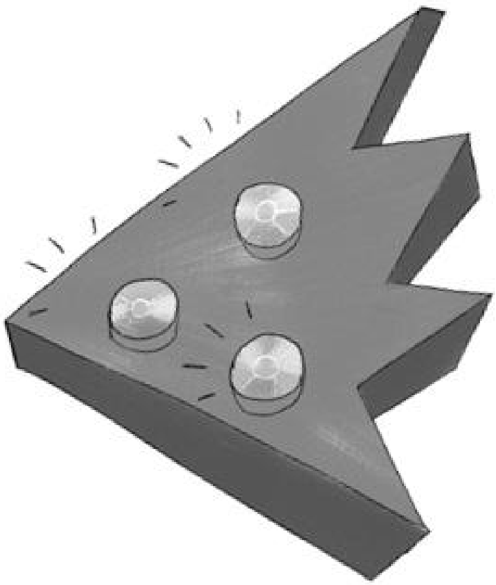


رأى آرثر أن التاج قد التوى أثناء قتالهما، وحاول بأقصى طاقته أن يُصلح التواءه، هذا عندما دخلت أنت غرفة المكتب».

أدركتُ أنني كنت أحبس أنفاسي أثناء تفسير هولمز لما حدث، ولا بد أن السيد هولدر هو الآخر كان يحبس أنفاسه، لأنه أطلق تنهيدة عميقة، ثم قال: «يا إلهي!».

تابع هولمز: «كنت أنت في حالة غضب شديد، واتهمت آرثر بالسرقة في الوقت الذي كان يتعين عليك فيه أن تشكره. لم يقل آرثر أي شيء عن السير جورج؛ لأنه يحب ماري، ولم يرغب في أن يفضحها».

قال السيد هولدر: «ولهذا السبب سقطت مغشيًا عليها عندما رأت التاج! أوه، يا لحماقتي! وعندما طلب آرثر أن يخرج لبضع دقائق، كان يريد وقتها أن يخرج ليبحث عن الجزء المفقود. يا لقسوتي في حكمي الظالم عليه!».



قال هولمز: «هذا صحيح، وعندما وصلت أنا إلى المنزل، سرت بحذر بالغ في أنحاء المنزل بحثًا عن أية آثار في الثلوج قد تفيدني، فرأيت أولًا آثار أقدام الخادمة وحبيبها - الرجل ذي الساق الخشبية - بعد باب المطبخ بقليل.

لكنني لم أجد آثارًا أخرى في الحديقة، باستثناء آثار أقدام رجال الشرطة، ولهذا سرت في الممر المؤدي إلى الإسطبل، ورأيت حكاية كاملة طويلة ومعقدة تتشكل

أمامي فوق الثلوج».

ساد الغرفــة الســكــون، وفيما يلي الجزء الذي يستهوي هولمز وهو: الكشف عن كيف توصل إلى استنتاجاته؛ فهو دائمًا ما يثير التشويق.

تابع هولمز: «رأيت مجموعتين من آثار الأقدام ذهابًا وعودة؛ إحداهما لشخص يرتدي حذاءً ذا رقبة عالية، والآخر لشخص حافي القدمين، وكنت متأكدًا أن آثار الأقدام الحافية هي آثار أقدام ابنك، فلقد ظهرت آثار الأقدام الحافية فوق آثار أقدام الشخص الآخر.



تبعت آثار الحذاء ذي الرقبة العالية وصولًا إلى نافذة القاعة، ثم عادت الآثار ثانية إلى الممر، ورأيت أين استدار اللص ليتقاتل مع آرثر، ثم رأيت بعض قطرات من الدماء، ثم ركض الشخص ذو الحذاء حتى نهاية الممر، ووجدت المزيد من الدماء التي تؤكد أنه هو من تعرض للجرح. عندما ذهبت إلى الشارع الرئيسي عند نهاية الممر، وجدت أن آثار الأقدام قد اختفت بسبب إزالة الثلوج، وهكذا انتهت آثار الأقدام».

اندهشت كالمعتاد من قدرة هولمز على قراءة مسرح الجريمة كأنه يقرأ رواية.

تابع هولمز: «عندما عدت إلى المنزل، تتذكر أنني فحصت عتبة النافذة بعدستي المكبرة، ورأيت أن شخصًا قفز إلى الخارج عبر النافذة، ورأيت أثرًا لقدم مبتلة حافية لشخص يعود إلى الداخل عبر النافذة، وبدأت أربط الدلائل ببعضها لمعرفة ما حدث.

لكنني لم أعرف وقتها من السارق، أعلم أن السارق ليس أنت يا سيد هولدر، ولا آرثر، وبهذا لا يبقى سوى ماري، ابنة أخيك، أو الخادمات. لكن إذا كانت السارقة

هي إحدى الخادمات، فلماذا تَحَمَّل ابنُك ذنبها؟ لا يوجد إذن سوى تفسير واحد فقط؛ أن السارقة هي ماري، المرأة التي يحبها. وتذكرت أنك رأيتها عند النافذة، وأنها سقطت مغشيًا عليها عندما رأت التاج مرة أخرى.

«ومَـن يـــا تـُـرى شـريكها في الجريمة؟ لا بد أنه حبيبها، لأنها ما كانت لتخون عائلتها من أجل أي شخص لا يعنيها. وعلمت أنها لا تخرج كثيرًا، لهذا لا يتسنى لها فرص اللقاء بأشخاص جدد، وإن الشخص الوحيد الذي كان يجيء إلى منزلكم، باستثناء أسرة شريكك في العمل، هو السير جورج بيرنويل، ومن المعروف أنه شخص غير جدير بالثقة، لكنه جذاب؛ لهذا استنتجت أنه هو شريكها في الجريمة».

أومأ السيد هولدر برأسه.

قال هولمز: «ما فعلته بعد ذلك، أنني ارتديت ملابس مهلهلة، وذهبت إلى منزل السير جورج، متظاهرًا باستجداء بعض الطعام عند باب المطبخ، وسمعت أحد الخدم يقول إن السير جورج قد أصيب في رأسه بجرح الليلة السابقة. وهذا ما أكد لي أن السير جورج هو السارق الحقيقي، لكن كان يجب أن أتيقن تمام اليقين. ثم لحسن الحظ رأيت حذاء ذا رقبة عالية قديمًا مبللًا موضوعًا إلى جوار الجدار، لكي يتم تنظيفه. وفي غفلة من الخدم، أخذت فردة من الحذاء، وفررت بها، ثم عدت إلى منزلك ثانية يا سيد هولدر، ووضعت نعل الحذاء على أثر الحذاء الموجود على الثلج، وكانت مطابقة تمامًا!.



وهكذا توصلتُ إلى المذنب، عدت إلى منزلي وغيرت ثيابي ثم ذهبت لرؤية السير جورج الذي أنكر كل شيء في البداية، ولكن عندما رويت عليه كل تفاصيل القصة، علم أن لعبته قد انتهت، ولم يستطع أن يخفي الحقيقة. فمد يده ليمسك بعصا غليظة، لكنني كنت أسرع منه، لأن خبرتي في الملاكمة والفنون القتالية تتيح لي اتخاذ رد فعل سريع جدًّا. وسرعان ما ثبتُ يديه خلف ظهره، وأخبرته أنه لم يكن هناك داعٍ للجوء إلى العنف؛ لأنه يسعدنا أن ندفع له مقابل الجواهر التي سرقها مبلغ 1000 جنيه إسترليني عن كل جوهرة.

قال لي في غضب: «سحقًا! لقد بعتُ الثلاثة مقابل 600 جنيه إسترليني فقط!».

ثم أعطاني اسم الرجل الذي اشتراها منه».



سألته في لهفة: «هل سعيتَ لإلقاء القبض عليه؟».

- «للأسف لا يا واطسون، كنت على وشك أن أخرج من المنزل لأستدعي الشرطة عندما فر السير جورج من خلال الباب الآخر، وطاردته لكنه كان يعرف الطرقات والأزقة المجاورة لبيته أفضل مني.

شعرت بالانزعاج، لكنني لم أسمح لما جرى بأن يعوقني عن استعادة الجواهر، فذهبت إلى العنوان الذي أعطاني إياه سير جورج، وبعد إجراء الكثير من المساومة في السعر حصلت على الجواهر بمبلغ 1000 دولار لكل جوهرة، ثم ذهبت لرؤية ابنك، وأخبرته أنه سوف يخرج من السجن قريبًا.

عدت أخيرًا إلى منزلي، وأويت إلى فراشي في الثانية من صباح هذا اليوم. وهذا ما أسميه: يوم عمل مثمرًا!».

قال السيد هولدر وهو يقف: «هذا اليوم قد أنقذ ابني، وأنقذنا من فضيحة كبرى. يا سيدي، أنا لا أجد الكلمات التي أعبر بها عن مدى شكري لك، إن براعتك أعظم مما كنت أتخيل. والآن يجب أن أذهب إلى ابني العزيز لكي أعتذر له عن الإساءة التي

ارتكبتها في حقه، أما بالنسبة لعزيزتي المسكينة ماري، فأنا واثق بأنه حتى أنت لن تستطيع معرفة مكانها».

قال هولمز: «أعتقد أنها من المؤكد مع السير جورج بيرنويل في المكان الذي فر إليه. في نهاية المطاف سوف تكتشف ماري نوعية هذا الرجل، وسوف يتحطم قلبها، ليصبح هذا درسًا قاسيًا، وجزاء أكثر من كافٍ على ما فعلته».

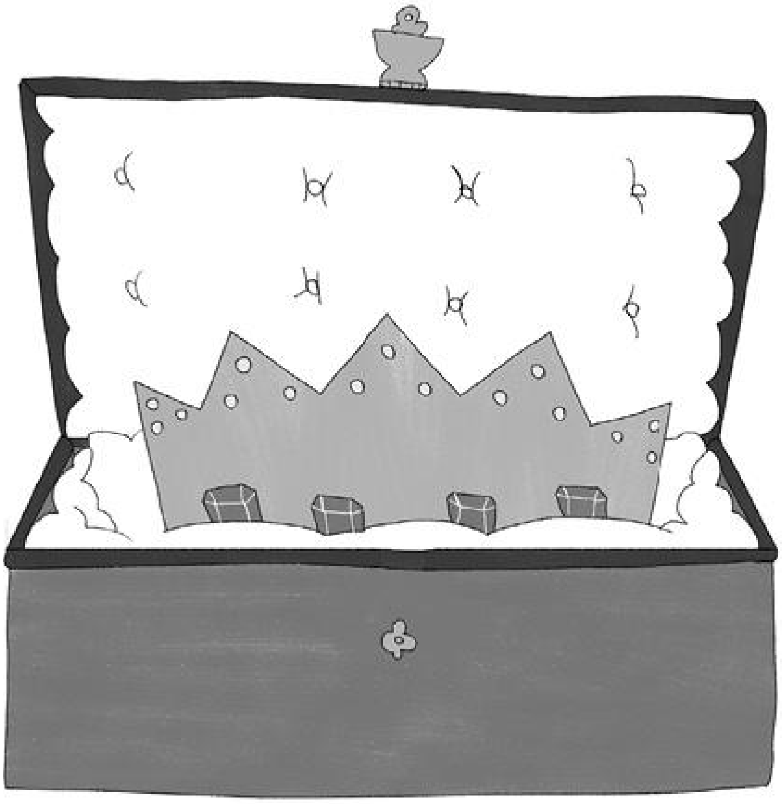
أومأ السيد هولدر برأسه في أسى وغادر.

رن هولمز الجرس لكي يطلب إبريقًا من القهوة، وجلسنا معًا أمام المدفأة.

وبعد دقائق قليلة ساد خلالها الصمت، سألته: «في رأيك، مَن هذا العميل الشهير في البنك؟ الرجل الذي أعطى السيد هولدر تاج الزمرد؟».



ابتسم هولمز قائلًا: «أعتقد يا واطسون أن هذا لغز لن نعرف إجابته مطلقًا».



شيرلوك هولمز

قام المحقق الخاص المشهور عالميًّا شيرلوك هولمز بحل مئات الألغاز، وهو مؤلف أوراق بحثية رائعة مثل Early English Charters وThe Influence of a Trade Upon the Form of a Hand. ويربي النحل في أوقات فراغه.

دكتور جون واطسون

جُرح دكتور جون واطسون في مشاركته في معركة مايواند، وترك الجيش وانتقل إلى منزل 221ب بشارع بيكر. وهناك تفاجأ عندما علم أن صديقه الجديد، شيرلوك هولمز، يواجه خطرًا يوميًّا في أثناء حل الجرائم، وبدأ في توثيق تحقيقاته.
يدير دكتور واطسون عيادة طبيب أيضًا.

لتحميل أنشطة شيرلوك هولمز، يرجى زيارة الموقع الالكتروني

www.sweetcherrypublishing.com/resources

الغلاف الخلفي

